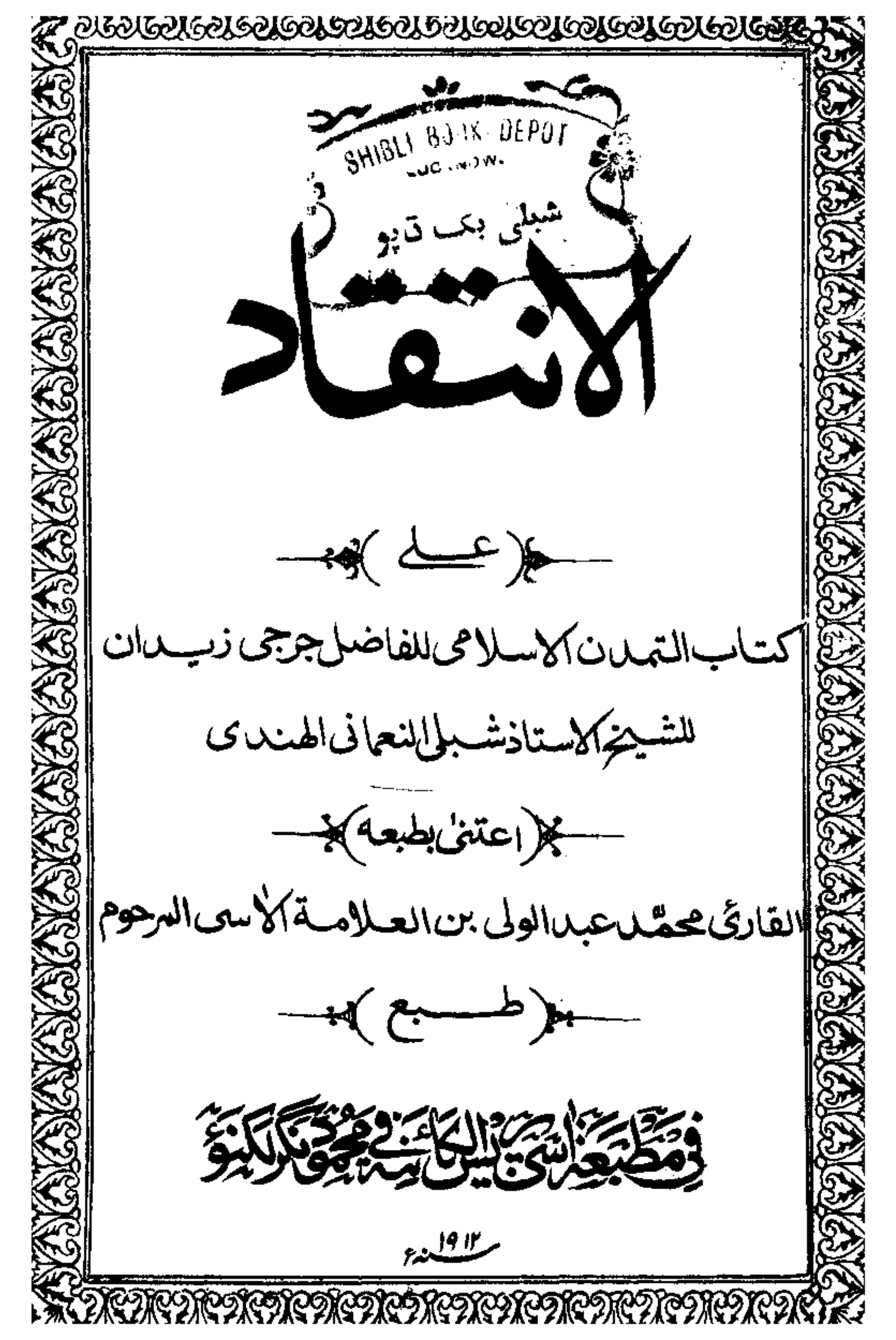


الانتقاد

(علی)

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنیٰ بطبعه)

القارئ محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة آسی پریس الكائنة فی محمود نگر لكنو

سنه ۱۹۱۲ء

جدول اصلاح ما وقع فى طبع هذا الكتاب من الخطأ و التصحيف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من		〃	٤	لترويه	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	〃	٩	لغير	لتغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
〃	١٧	اتبز	ابتزّ	〃	٩	مهدى	المهدى
٤	١	لعرب	عرب				
〃	١٣	يحرّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	〃	١٤	عرب	عربي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترميه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	لا استنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع	١٥	٩	الهجية	الهجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	٨	مرزولين	مرذولين	〃	〃	الطبعى	الطبيعي
〃	١٠	المَل	اكمـل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ الظلم
〃	١٦	يمن	اليمن	〃	١٦	لرمتها	لرمّها
١٢	٦	انوالى	من الموالى	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	١٠	المسايل	المسائل	〃	٨	مسايل	مسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت	١٩	١١	رمته	رمّه
〃	١٦	حسن	المحسن	〃	١٦	ولدٌ للمروان	ولدٌ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
〃	٤	المسايل	المسائل	〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٢	يمن	اليمن	〃	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
〃	له	عقد الفريد	العقد الفريد	〃	٦	نال	نالت
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	انختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يجترئُ	بجترئُ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستشن	يستنّ	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائرُ
〃	٥	كانْ	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احدًا	واحدًا
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٢	للقريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحہ	سطر	خطاً	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
۳۵	۱	عمالٍ	عمالا
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	ني	في
〃	۱۶	البّ	تالّب
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه
۳۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزير	الجزية
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لاجتراء	الاجتراء

صفحہ	سطر	خطاً	صواب
۳۸	۱	كالان	كالاف
〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۷	ولكن	لكن
〃	۹	اليهذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
۳۸	۱۹	خياناتها	خياناته
〃	۲۰	التغير	التغيير
۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عرب
۴۰	۶	صع نوع	بنوع
〃	۸	المعاوية	معاوية

صفحه	سطر	خطاً	صواب
٤٠	١٣	أنظروه	انظروا
″	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
″	١٥	حنفية	الحنفية
″	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
″	٥	خلفايهم	خلفائهم
″	٦	سوال	سوآل
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
″	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هنالك
″	١٥	الذين	فان الذين
″	٩	بيعة	سعة
٤٥	٨	صماديج	صهاريج
″	٥	الف	الاف
٤٧		نموذا	نفوذا
″	١	المودبين	المؤدبين
″	١٣	التصحيب في	التصحيف في
٤٩	٢	رجا	رجاء
″	٥	استودعت	استيداعها
″	١٥	يومين	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
″	٤	فقد	.
″	١٣	يزيد عبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
″	١٠	الماضيين	الماضين
٥٢	١٣	الغلمين	العلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
″	١٤	تضئقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انته
〃	٤	ذهب	ذهبت
〃	٧	القران	القرآن
〃	١٥	النصبغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	بأموهم
〃	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
〃	٨	مواضع	موضع
〃	١١	انفهم	انوفهم
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها
〃	٧	خاب	خابت
〃	〃	يكادلا	لايكاد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	اضطهدواعلى	اضطهدوا
〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	١٦	امرة	امراة
٥٩	١	باحراج	باخراج
〃	٨	بهدم	هدم
〃	١٣	الخزانة	خزانة
٦٠	٢	تضيح	تصيح
〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
	٦	ايضاجا	ايضاحًا
〃	٢	هذا	ذلك
〃	١١	قرءة	قراءة
〃	١٠	الايخيل	الانجيل
٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبا	بالاخبار
٦٣	٥	ت المسئلة	كانت المسئلة
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام
٦٥	١	عموو الوری	عمود السواری
"	٩	يكن	تكن
	١١	يتصل	تتصل
	١٣	يكون	تكون
٦٦	٣	اخبار	الاخبار
٦٧	١٣	صار	صارت
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة
"	١٧	لو	ان
٧٠	٩	وشام	والشام
"	١١	حيا	حا
"	١٣	ما	صا
٧١	١	الخزانة	خزانة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
"	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوی
"	"	احد من اهل	احد اهل
"	١١	شطرُ	شطرٌ
"	١٥	الموثوقة	الموثوق
٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
"	٧	عليهم	علمهم
"	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٧٤	١٧	لنصارى اهل الشام	النصارى الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
"	٦	الموثوقة	الموثوق
"	١٦	يجزونهم	يجبرونهم
٧٦	٩	مزجاة البضاعة عنه	بضاعته مزجاة
"	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحه	سطر	خطاً	صواب	صفحه	سطر	خطاً	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا	٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
〃	〃	محمد	احمد	٧٩	١٢	وجها	وجهها
٧٧	٩	سبحنه	سبجنه	〃	١٤	بجلع	بخلع
٧٨	١٣	نسخته	نسخة	٨٠	١٢	من احد	احد
٧٨	٨	الحماد	لحماد	〃	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدى عجايبه ان رجلا من رجال العصر
يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل،
وقلب الحكاية والخيانة فى النقل، وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية،
وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم
يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب

لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج
الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب
دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد لم ينبض
لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية
بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض لكشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم اُطق الصبر فانفلتُ مِنْ مِنْ اوقاتى آيامًا وتصديت للكشف عن عوار هذا التاليف والابانة عما فيه من انواع الافكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف — انى ايُها الفاضل المولف غير جاحد لمنتك فانك قدنوهت باسمى فى تاليفك هذا وجعلتنى موضع الثقة منك واستشهدت باقوالى و نصوصى ووصفتنى بكونى من اشهر علماء الهند مع انى اقلهم بضاعة واقصرهم باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحنى وتهجو العرب فتجعلهم غرضا للسهام ودريئة لرماحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم كل دنية وشر حتى تقطعهم اربا اربا وتمزقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل بنى امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوءهم يفتكون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل و يقتلون الذرية وينهبون الاموال و ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقران،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر ابن الخطاب الذى قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح بنى العباس فتعدّ من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضُرِب بذلك المثل وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القران وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفاتٍ۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادمٌ لکل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسرّ ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتألّم وهب انی حمّلتُ نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروه والصمم عن البذاء ومجازاة السیّئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تُشوّه وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروّج الکذب وتفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التُّهم وتعوّد الناس بالخرافة بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

انّ الغایة التی توخّاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لما کان یخاف ثورة الفتنة، غیّر مجری القول ولبّس الباطل بالحق بیان ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجیٔ) ولمّا غرّ الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتُنا وقدوتنا فی الدین ومدحه لبنی العباس وهم ابناء عمّ النبیّ وبهم فخارنا فی بثّ التمدّن واُبهة الملک، ورأی انّ بنی امیة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرّغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلّی حسنة الا وانتزعها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من ال مروان او لکونهم من سلالة

اُمَیّۃ لکنّا فی غِنیً عن الذبِّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُلّ ذنبھم انھم العرب علی صرافتھم ما شابَتْھُم العجمیّۃ مُطلقًا کما قال

" ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانھا عربیۃ بحتۃ"، (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الامویۃ دولۃ عربیۃ اساسھا طلب السلطۃ والتغلب"، (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم | اطال المولف واطنب فی اثبات ھذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحۃ ۱۰) ثم جعل لہ عنوانا خاصًا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ،

"فان العرب کانوا یعاملونھم مُعاملۃ العبید"

" واذا صلوا خلفھم فی المسجد حسبوا ذلک تواضُعًا للہ،

" وکانوا یُحرِمون الموالی من الکُنی ولا یدعونھم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معھم"،

" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰۃ الا ثلثۃ حمارٌ او کلبٌ او مولیً"

"فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدًا علی غیر العربی ویریٰ انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"،

"فتوهم العرب فی انفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا عمل فی سن الستین الا قرشیة ... وان الفالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا ... ولا یزوّجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبایل"،

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعا وارقّاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یامر بقتلهم کلّهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارا شتّی،

فمنها تعمد الکذب کما ستری،

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلة من کل نوع منها قال، " اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غیرُ خافٍ علی من له المامٌ بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم اشمأز وقال عبدی یکتُبُ الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیه ان العرب مع شُرب البان الابل واکلِ الضَبِّ بلغ بهم الحالُ الی ان تمنّوا دولة العجم فاُفٍّ لكَ ایها الدهر الدایرُ، و کانت ملوك حیرة تحت اِمرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العربُ من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع ''ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء آدم''

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سبباً لحدوث حزبین متقابلین یُسمّی احدُهما الشُعوبیّة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتّی ان اباعبیدةَ صنّف کتباً عدیدةً یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامةُ ابن عبدُ ربّه فی کتابه العقد الفرید باباً فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فی اثبات عصبیة العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المؤلف فی هامش الکتاب. واذا تصفحت الکتب یظهر لك ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبیة وصاحب العقد حیثما ذکر هذه الاقوال صَدّرها بقوله "قال اصحاب العصبیة من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة لیست کافّةَ العرب ولا اکثرها بل ولا عشر معشارها فانك ستری ان هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فی الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعیّن معلوم الاسم الی العرب عامة،

فقال ناقلا عن کتاب العقد "وکانوا یکرهون اَنْ یصلوا خلف الموالی وَاذا صلّوا خلفهم قالوا انا نفعلُ ذٰلك تواضعا لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنیعة اعنی تعمیم الواقعة الجزئیة هی اکبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطله بل هی قطب رحی تالیفه،

قال المؤلف "فادرك مُعاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهَمّ اَن یامر بقتلهم کلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحه ۵۹) ان نص معاویة الذی نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "کانّی انظر الی

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايتُ اَنْ اَقتل شطرًا وَاَدَعَ شطرًا" فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة و قال ان معاوية همّ ان يا مر بقتلهم كلِّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فی هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح في هامش الكتاب وايم الله لوكُنتَ تَقِفُ على عبارة الطبقات لوَقعتَ في شدِ حيرةٍ من اجتراء المؤلّف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب الراهب انه نصراني "ان المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذرو ابذورهم فی الروميات والصقلبيات وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا يوسف وقال له ما العلة عندك في عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابى قريش فى المهدى وولده انه لا يعرض لعقب الفالج الاان يبلغوا بزورهم فى الروميات وانه قد امّل ان يكون الذى به فالجاً لا عارض الموت، فقلتُ لا اعرف لانكارك هذه العلة معنًى اذا كانت اُمُّك التى قامت عنك دنباوندية ودنباوند اشدُّ بردًا من كل ارض الروم فكانه تفرّج الى قولى وصدّقنى واظهر السرور،،

فانت ترى ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما كان مبناه حرَّ ارض العرب وليس له ادنى مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر الى الذهن من علا سماء آباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيّرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى

ثم ان هذا قول عيسى الطبيب و لا يدرى انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافّة

قال المؤلف "ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربيٌّ (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول ان الحجاج لما اسر سعيد بن جبير التابعى المشهور وكان من الموالى قال له ممتناً عليه اما جعلتك اماماً للصلوة فى الكوفة ولم يكن فى الكوفة الا العرب قال ابن جبير نعم ثم قال له الحجاج اليس انى لما اردت ان اوليك قضاء الكوفة ضج العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربى وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوائد الامة مطلقاً على خصايصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف اهل كوفة من قضايه لاجل كونه من الموالى لاستنكفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنيفة كان من الموالى ارادوا ان يولوه القضاء فى عصر بنى امية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصلا

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشيا"

نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعى كانت بنوامية لا يبايع لبنى امهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ام ولد[له] اما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن على

[له] انظر الجزء الثانى من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لاتصلح للخلافة فقد رد عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لوكان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نُحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف اوكانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسودد ويوفىّ لهم اوفى قسطٍ والمل حق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة، عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة

يمن طاؤس،

الشام مكحول،

مصر،	يزيد بن ابی حبیب،
الجزيرة،	میمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصری،
الكوفة،	ابراهيم النخعی،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعی كانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجامًا وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب ويحترمهم خلفاء بنی امية وولاة الامر،

فأمّا عطاء بن ابی رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فی الفتوی وعليه المعوّل فی المسائل، قال ابن خلكان فی ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فی زمان بنی امية يامرون فی الحج صائحا يصيح "لا يفتی الناس الّا عطاء بن ابی رباح"، وهل يمكن ان ينادی بمثل ذلك من غير رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمكة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا علی مكة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعًا نعشه علی عاتقه وصلّی عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموی ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمۃ طاؤس فھل یکون منزلۃ اعظم من ذلک،

واما مکحول الشامی فاحد الایمۃ المتبوعین وقال الزھری العلماء اربعۃ فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فھو الذی ارسلہ عمر بن عبد العزیز لیفقہ الناس فی مصر ویفتیھم فی المسایل وھو المعلم الاول لھم کما صرح بذلک السیوطی فی حسن المحاضرۃ واما میمون بن مھران فمع فضیلتہ وسیادتہ کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرۃ کما صرح بہ ابن قتیبۃ فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن لہ الملوک والسادۃ والقواد وعلیہ المعول والیہ المنتھی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیۃ الحدیث للعراقی (طبع لکھنؤ صفحہ ۹۹،۹۹م) ان ھشامًا قال للزھری من یسود اھل مکۃ قال عطاء قال بم سادھم قال بالدیانۃ والروایۃ قال ھشام نعم من کان ذا دیانۃ حقت الریاسۃ لہ ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلک سأل عن مصر والجزیرۃ وخراسان والبصرۃ والکوفۃ فاخذ الزھری یعد اسماء سادات ھذہ البلاد وکلما سمی رجلا کان ھشام یسأل ھل ھو عربی ام مولی وکان یقول الزھری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انہ عربی فقال ھشام الاٰن فرجت عنی واللہ لیسودن الموالی العرب ویخطب لھم علی المنابر والعرب تحتھم"

ان التابعین لھم اعلی محل فی تاریخ الاسلام۔ ورأسھم

سعید بن جبیر وهو اسود وقد ولاہ حجاج بن یوسف امامۃ الصلوٰۃ فی الکوفۃ کما ذکرہ ابن خلکان فی ترجمتہ والکوفۃ اذ ذاک جمجمۃ العرب وقبۃ الاسلام وہل یصح بعد ذالک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصّلوۃ خلف الموالی،

وهذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلۃ من العز والشرف انہ لما کتب الیہ الخلیفۃ هشام بن عبد الملک ان یکتب لہ مناقب عثمان ومساوی علیٍ اخذ کتاب هشام والقمہ عنزا کان عندہ وقال للرسول قل لهشام هذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمۃ الاعمش)

وهذا حمّاد الراویۃ الّذی دوّن المعلقات ولہ المکانۃ الکبری فی الادب والشعر کان عبدًا اسود وکانت ملوک بنی امیۃ تقدمہ وتوثرہ وتستزیرہ کما ذکرہ ابن خلکان،

وهذا سالم بن عبد اللہ بن عمر کان ابن امۃ ولما دخل الخلیفۃ هشام بن عبد الملک المدینۃ ارسل الیہ یدعوہ فاعتذر فدخل علیہ هشام ووصلہ بعشرۃ الاف ثم لمّا حجّ ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذهب لعیادتہ ولمّا توفیّ صلّی علیہ وقال لا ادری بای الامرین انا اسرّ بحجتی ام بصلوتی علی سالم، لہ

لہ عقد الفرید ترجمۃ هشام بن عبد الملک،

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العبّاس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالاً للريب- ولا متسعاً للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام مواليها، ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيداً مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوماً قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلاً وان اسامة لها لاهل؛ وقالت عائشة لو كان زيد حيّاً ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة عليّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احب الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط اولعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن ابي طالب رضي سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه ويد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهديّ كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولاي" فانفض والله يدك من بين يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجّه اليّ مولى مثل هذا واومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضّاً

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهاى به العرب قيل لرجل لابيه المولى لموالية فى بعض الاحاديث ان المعتق من طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذه ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان كان من جلة الرجال نازع عمرو بن هلال المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له فى داره فادخل لفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وابلداتاه وان قيل مولى وعجمى قال اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر اترى هذه العجم تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأوا والله رقابنا قبل ذلك" انتهى (صفحة ۱۰، و ۱۱، و ۱۲، طبع اوريا)

تدل هذه النصوص على امور،

۱۔ ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريشها خاصة۔

۲۔ لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتهم كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم۔

۳۔ كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولواخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون ویظهر مما مرّ علیک ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم وترفع شانهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلک ان الموالی وابناء الاماء کانوا فی عصر بنی امیّه وزن ولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان العرب وبنوامیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة — المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو ان الامة العربیّة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای الجور والقسوة والهمجیّة وسفک الدماء والفتک بالناس ولکن لما کان لا یقدر علی ظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلک فغمّض المذهب جعل الکلام طیّب الظاهر وذلک بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار - فمدح سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها.

> علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلایم طبیعة العمران او تقتضیه سیاسة الملک وانما هی خلافة دینیة توقّفت الی رجال یندر اجتماعهم فی عصر - فاهل العلم بالعمران لایرون هذه السیاسة تصلح لتدبیر الممالک فی غیر ذلک العصر العجیب وان انقلاب تلک الخلافة الدینیة الی الملک السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ۳۰ و ۳۹)

فاثبت بذلك انّ سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوةٌ للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لالاجل انّه دولةٌ عربيّة بل لكونها فارسية مادّة وقواماً موتلفاً ونظاما وصرّح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لانّ تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياتها فهى فارسيّة من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادارو شيونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع انّ الدولة العربيّة السّاذجة انما هى دولة بنى اُميّه فقال،

"وجملة القول انّ الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

"وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت انّ خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وانّ دولة بنى العباس دولة فارسية وانّ الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنی امية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانی فی مطاوی هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس والآن اذكر نبذًا منها واكشف عن جليّة حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمين؛ قال المؤلف تحت هذا العنوان،

"اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين، ؞ لانه صرح باستهانة الدين منذ ولى الخلافة . . . ذكروا انّه لما جاءه بخبر الخلافة كان قاعدًا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك اوهذا فراقُ بينی وبينك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة ؞ ؞ وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثًا وهدموا الكعبة وهی بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحه ۷۰، ۹۹)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم فی ازدياد وبازائه بنوامية فی الشام فلمّا تولّى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير كما يجي تفصيله

يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير

ولكونه لائذاً بالكعبة اضطرّ الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز

عن رمي الكعبة فحوّل وجهها الى زيادة ابن الزبير فانظر كيف غيّر المؤلف مجرى

الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال

للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم

الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهم بل يستيقن ان

عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل

الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتل ابن الزبير كان اما لانه دافع عن مكة او

لكونه ايضاً من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم

فهو انّ ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان

وابنه عبد الملك وهو عليل مجدّر[1] فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير

افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة[1] والبغضاء

حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل

سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[2] ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن

الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا ما لوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام

[1] اليعقوبي طبع يوربا صفحة ۲۱۱ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحه ۲۱۱ -

عن ادخال الحطيم فی الکعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسیلة لاغراء الناس علی
ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی هذه الاعمال ولکن من شریطة العدل
ان نوفی کل احد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منه
اعتذارا فان ابن الزبیر هو البادئ والبادئ اظلم ویظهر من هذا ان عبد الملک
ما اراد الحط من شان الکعبة ومس شرفها ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع
ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذالک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبة
حولها عن الکعبة وجعل الغرض الزیادة التی کان زادها ابن الزبیر صرح بذلک
العلامة البشاری فی احسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا
بالکعبة لا یمنع هذا عن قتالهم ولذالک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدهم وهو
متعلق باستار الکعبة وابن الزبیر کان عند اهل الشام من البغاة والمارقین عن الدین
ولوکان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم لما کان مراده من رمته واصلاحه
بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج هو اسوة کعبة الاسلام وقبلة المسلمین کافة
اما قول عبد الملک للقران هذا فراق بینی وبینک فحقیقته ان
عبد الملک کان قبل الخلافة ناسکا منقطعا الی العبادة لا یشتغل بشیء من الدنیا
قال نافع ما رایت فی المدینة اشد نسکا وعبادة من عبد الملک ولما سألوا ابن
عمر الی من نرجع فی الفتوی بعدک قال ولد لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقهاء
فی المدینة سبع احدهم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

عليه افضل الاعبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطی فی تاریخه الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحسرا هذا آخر العهد بك ای الآن لا يمكن الانقطاع الی العبادة وقراءة القرآن كما كان دابه ولا وليس هذا علی سبيل الاستهانة بالدين مطلقا فانا نری اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم ويصلی ويحج قال اليعقوبي فی تاريخه واقام الحج للناس فی ولايته سنة ٧٣ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٤ وسنة ٧٥ الحجاج ايضا وسنة ٧٦ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٧ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٨ ابان ايضا وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ وسنة ٨١ ابان ايضا وسنة ٨٢ سليمان بن عبد الملك (وسرح باقی السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذی كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"وحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف فی هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب فی مثل هذه الوقايع هو من احدی حيل المولف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة فی الطبری وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لما لم يكن كيفية الحادثة فی هذه الكتب وفق هوی المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتثبّت بكتابٍ هو في صلاد المحاضرات انما يُرجع الى امثال اذا لم يكن في الباب مستند غيره ومتى ما لم يُخالف الاصول، والمذكور في الطبري وغيره ان عبدالله بن الزبير اُصيب في الحجون وقُتل هناك، قتله رجل من المراد وما احتُزّ راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"

قد مر ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصبه المناجيق على الزيادة التي زادها ابن الزبير ولما كانت مُتّصِلَةً بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اوّلُ ما فعلهُ الحجاجُ كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنسُ المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدمُ الكعبة شئٌ واحدٌ،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه وانشدَ،

اَتُوعِدُ كُلّ جبارٍ عنيد	فها انا ذاك جبارٌ عنيدٌ
اذا لاقيت ربك يوم حشرٍ	فقل لِلّٰه مزّقني الوليدُ

ونقل هذه الرواية عن الاغاني فهي من خرافات الاغاني ومعلومٌ ان صاحب الاغاني شيعيٌّ، ديانته شنآن بني اُميّة والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهرٌ عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم في نقد الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجد من امثال هذه الروایات المختلفة. قال العلامة **الذهبی** وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذالک" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هنالک امرٌ اخر وهو ان النّاقم علی **الولید** وقاتله هو خلیفةٌ اموی، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقران قد ذکر له صاحبُ العقد ما ینبئ عن تعظیمه للقران وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد انه شکا رجل من بنی مخزوم دینا لزمه فقال (الولید) اقضیه عنک ان کنت لذلک مستحقًا قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقا فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القران قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجلٍ من جلسائه ضم الیک هذا العلج ولا تفارقهُ حتی یقرء القران فقام الیه اخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القران قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال و عشرا من براءة فقرءَ فقال نعم نقضی دینک وانت اهلٌ لذلک" فانت تری ان الولیدُ یعدُّ من لا یقرء القران علجا والمولف یعدّ الولید علجا۔

فاما ما ذکره المولف من اقوال **الحجاج** و**خالد القسری** انهما کانا

العقد الجزء الثانی صفحہ ۳۰۹

يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسية كالعجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقرّ فى جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخفّ بامرأة مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلًا او رجلين من بنى امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفردَ جماعةً والفذَّ توءمًا والنادر عامًا، والشاذَّ مطردًا۔

جور بنى امية سمعنا بمظالم بخت نصر وَاَحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى التتر فوالله (لو صدق المولف) هؤلاء كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالًا ولا اسفك دماءً او لا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المولف حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×

وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فی الارض ویقتلوا کل من وجدوہ من شیعۃ علیؑ ولا یکفوا ایدیھم عن النساء

والصبیان (الجزء الرابع صفحہ ۵۲)

قبل ان الکشف عن جلیۃ الامر لابدّ من تقدیم مقدمۃ، وھی ان المؤلف

مدح بنی العباس و جعل اعمالھم مناط العدل ودلالۃ علی الرفق فقال،

ولا غرابۃ فیما تقدم من عمران البلاد فی ظل الدولۃ العباسیۃ فان العدالۃ

توطد دعایم الامن واذا امن الناس علی ارواحھم وحقوقھم تفرغوا

للعمل فتعمر البلاد ویرفہ اھلھا ویکثر خراجھا (الجزء الثانی صفحہ ۱۸)

وعلی ھذا فاذا وجدنا بنی امیّۃ معادلین لبنی العباس فی جمیع اعمالھم سواءً

بسواءٍ کان اختصاصھم بالذم دون بنی العباس جورًا فاحشا ومیلا عظیما، ثم ان ھناک

امر اخر وھو ان المورخین باسرھم کانوا فی عصر بنی العباس و من المعلوم انّہ لم یکن

یستطیع احد ان یذکر محاسن بنی امیۃ فی دولۃ العباسیین فاذا اصدر من احدٍ

شیءٌ من ذلک فلتۃ کان یقاسی قائلھا انواعا من الھتک والایذاء ووخامۃ العاقبۃ

وکم لنا من امثال ھذہ فی اسفار التاریخ، ومع اننا نعترف بان مورخی الاسلام کانوا

اصدق الناس روایۃ واجرءھم علی اظھار الحق ما کان یمنعھم عن بیان الحقیقۃ

سلطۃ ملکٍ ولا مھابۃ جائرٍ ولکن مع ذلک فرق بین تعمد الکذب والسکوت عن الحق

ولذلک نعتقد انھم ما قالوا شیئًا افتراءً علی بنی امیۃ ولکن ان قلنا انھم کثیرا ما

سکتوا عن محاسنھم فذلک شیٔ لا یدفع ولیس فیہ غضٌ منھم۔

اما بنو العباس فكانوا فى عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الابعد مخاطرة النفس والاقتحام فى الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الى قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة اى رسال بسر ابن ارطاة الى شيعة عليٍّ من اشهر الوقايع المذكورة فى ساير كتب التواريخ وليس فى احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبى "وجّه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامرى من بنى عامر بن لوى فى ثلثة الاف رجل فقال له سِرْ حتّى تَمُرَّ بالمدينة فَاطْرُدْ اهلها وَاَخِفْ مَنْ مَرَرْتَ بها وَانْهب مال من اصبت له مالا ممن لم يكن دخل فى طاعتنا وَاَوْهِمْ اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك " حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة " ثم امض حتى تاتى صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءنى كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمرّ بحيٍّ من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبى طبع اورپا صفحه ۲۳۱ من الجزء الثانى)

فترى فى هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام لما راى المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعيّن احدًا وكان بسر سفّاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغاني من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيّنا وكان الحديث فكاهةً او تسلّيًا من كدّ العمل لي استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة معتركةَ الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشانٍ او هادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغاني) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"،

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدّته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابي مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس لموسس لید ولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحۃ ۱۱۲) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیا فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربیٌ قحٌ طبعه الجفاء والقسوة اما ابومسلم فعجمیٌ تربّی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاةً منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهدٍ غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو ربُّ الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعبّاسیّین قایمة ولا كان لهم ذكرٌ وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ما ذكر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تائید سلطانهم ثم قال صارت سُنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یُبرّیءُ ساحة العباسیّة من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقضٌ فی القول اواراد بهم نفعا فضرّهم من حیث لایعلم لا والله لاهذا ولا ذاك بل هی من مكاید المولف التی لایهتدی الیه الا فطنٌ خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال | ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقیقة،

قال يذكر جور العمال" واذا اتى احدهم بالدراهم ليوديها فى خراجه يقتطع الجابى منها طائفة ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانى صفحة ۲۲ واستند فى الهامش بكتاب الخراج لابى يوسف صفحة ۶۲)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك. اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضى ابا يوسف ما تكلم فى شان عمال بنى امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فى جباية الخراج وكتاب الخراج لابى يوسف بين ايدينا وقد طبع فى مصر وتداولته الايدى وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفى كلام القاضى ابى يوسف فى عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبين الطرق التى كان اولئك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنى انه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة منهم لربه حرمة ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم فى عمالة يقتضى بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فى الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلوة وهذا عظيم

عند الله شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ۲۳ و ۲۴ مستندًا

الی کتاب الخراج صفحه ۶۱ و ۶۲)

الله اکبر! اهل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی

ابو یوسف من عُمّال هٰرون الرشید ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه

مما یرتکب عماله فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث

انما هی الطرق التی کان عمال بنی امیة یجمعون الاموال بها، ها هو کتاب الخراج

بایدینا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وکررنا فیه النظر لا کرّة او کرّتین بل مرات

متوالیة متتابعةٍ فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال

ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقربت الی الله عزوجل یا امیر المومنین ابا لجلوس لمظالم رعیتك

فی الشهر او الشهرین مجلسا واحدا تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم

رجوتُ ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلك لا تجلس الا مجلسا

او مجلسین حتی یسیر ذلك فی الامصار والمدن فیخاف الظالم وقوفك

علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم ‥ ‥ مع انه متی علم العمال والولاة

انك تجلس للنظر فی امور الناس یوما فی السنة لیس یوما فی الشهر

تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج

صفحة ۶۳ و ۶۴)

لا فض فوك یا ابا یوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملك جبار كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة والبر جرأتك ايها الفاضل (جرجى زيدان) تتبعت سيرة عمال بنى امية وبالغت فى الامعان وكابدت فى ذلك محنة التقصى فاعوزك كل هذا وما وجدت فى اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بنى امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا فى ابتزاز الاموال من اهل البلاد التى فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيء لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥٠)

الذى اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله فى الجزء الثانى وهذا نصه

"وكان من جملة نتايج تعصب بنى امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التى فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثانى صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال فى غير موضع مستدلا على ان العرب وبنى امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منهم ان اموالهم

واعراضهم ابيحت لهم مطلقا۔

حقیقة القول انه لما فتحت البلاد فی خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرهما وقالوا ان الارض مقسومه بیننا کما قسم رسول الله خیبر وکان الفاروق رأی غیر هذا فقام النزاع حتی وُفِّقَ الی الاستناد بنص القرآن فسکتوا ورضوا والقصة مذکورة بتفاصیلها فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتی کان الخراج او الجزیة شیئًا مُسمًّی مُعیّنًا ما کانوا یزیدون الزیادة علیه وان اکثرت الارض خیراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فکان الخراج او الجزیة علیها بقدر النقص والزیادة وهذا هو قول عمرو "ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلك المقریزی فی تاریخه والعلامة السیوطی فی حسن المحاضرة فاما قول سعید بن العاص الذی استند به المؤلف فتحریف الکلام عن موضعه علی جاری عادته فان المؤلف نقل هذه الروایة من الاغانی والمذکور فیه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیه فقال بعضهم نعم ویالیته کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا نعطِ ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذه فانکروا قوله فقال سعید بن العاص "السواد بستان قریش الخ" فقال الرجل لا انه من منابع رماحنا" فانت تری ان النزاع بین الجند وامیر البلد هنا هو النزاع الذی کان بین بعض الصحابة وعمر الفاروق وای متشبث فی ذلك للمؤلف۔

فان سعید بن العاص قال ما قال ردًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم بین فاتحی البلاد بل هی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید قریشا لان الخلافة علی زعمهم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا یبالون کیف یجمعونها فقد کتب معاویة الی زیاد ''اصطف لی الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلک واوصاهم ان یوافوه بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذهبا ولا فضةً'' (الجز الرابع صفحة ۲ واحال الروایة فی الهامش الی العقد الفرید صفحة ۱۰ من الجلد الاول)

ننقل ماخذ هذه الروایة کما صرّح به المولف فی الهامش لتری خیانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

''ونظیر هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین کتب الیّ ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس ذهبا ولا فضة فکتب الیه انی وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین ثم نادی فی الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفیٔ'' (العقد الفرید المجلد الاول صفحة ۱۰)

فانظر اوّلا، انّه لیس فی هذه الروایة انّ معاویة کتب الی زیاد بل ان زیاد کتب الی الحکم انّ امیر المومنین کتب الیّ، ولعل زیاد کذب فی ذلك اوفهم غیر ما اراد معاویة بقوله،

ثانیًا، انّ المولف حذف کل ما قال الشعبی وما عمل به من تقسیم الفئ، لدلالته علی ان فی عمّال بنی امیة من لا یمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ، لا ولاة الامصار ولا من فوقهم ای الخلیفة نفسه،

ثالثا، انّه لیس فی هذه العبارة ما یستدل به علی ستئثار معاویة المال لنفسه فان مراده ان العمّال لیس لهم تقسیم الفئ، بل الامر موکولٌ الی الخلیفة فعلی العامل ان یجمع الاموال ویرسلها الی الخلیفة وللخلیفة ان یضعها موضعها،

قال المولف،

"فکان العمال یبذلون الجهد فی جمع الاموال بایة وسیلة کانت و مصادرُها الجزیة والخراج والزکاة والصدقة والعشور واهمها فی اوّل الاسلام الجزیّة وکثرة اهل الذمّة فکان عمال بنی امیة یشدّدون فی تحصیلها فاخذ اهل الذمة یدخلون فی الاسلام فلم یکن ذلك لینجیهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزیة ولیس رغبة فی الاسلام فطالبوهم بالجزیة بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن یوسف واقتدی به غیره من عمال بنی امیّة فی افریقة وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصًا اهل خراسان وماوراء النهر فانّهم ظلّوا الى اواخر بنى امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٤)

ذكر المولّف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يتراءى للناظر فيها انّ الناس حِيطوا من كل جانب جورًا وعدوانًا فاذا ابقوا على الكفر يُعانون من الشدة ما يُلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكريًا فمن يذبُّ عن بيضة الملك بنفسه فهو غير ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يُودى شيئًا من المال ليكون عدةً للعسكر وعونًا له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرّح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرهما انّ اقوامًا من النصارى فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شيئًا يحدُّ بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحرب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعاً او مكرهاً، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

۲- ولما لم ينفصل الامر بتّةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

۳- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اتيا ففى سنہ ۸۱ لما كتب الحجاج الى البصرة بِرَدّ من اَسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القُرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزّين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنہ ۱۰۰ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقيه سنة ۱۰۲ اَلّبَ الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنتُ مُستحسنا

عمل يزيد والقصة مذكورة فى الكامل تحت حوادث ١٠٢ سنة وكان اخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فى خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء **بنى امية** فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فترك والقصة مذكورة فى المقريزى بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكارًا على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانى صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابى مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اى قتلهم يزيد بن ابى مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنى امية وانما كان اجتهادًا من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصًا فى الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تالّب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضاربي الجزية حتى قتلوا بعض العمال ثم استحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك عمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٤٩٢ من الجزء الثاني)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق؟ اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي:- "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الآن دینار و فی ایامه امر عبد العزیز بن مروان فامر باحصاء الرهبان

فاحصوا واخذت منهم الجزیة علی کل حالم دینار وهی اول جزیة اخذت

من الرهبان" (الجزء الثانی من المقریزی صفحه ٤٩٢)

فهل تجد فی هذه العبارة ادنی اشارة الی ان عبد العزیز او احد غیره

شدد فی الجزیة فاختار الرهبنة طلباً للنجاة من الجزیة فما نقمهم وانما فیها

ان عبد العزیز بن مروان وضع الجزیة علی الرهبان وهذا لیس فیه کبیر شیٔ فان

الرهبان وان کانوا معافون عن الجزیة ولکن لما لم یکن الامر منصوصاً لا فی

الکتاب ولا فی السنة کان للاجتهاد فیه مساغ فاجتهد عبد العزیز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا کل ما قال المولف عن جور بنی امیة وعمالهم

واستیثارهم الاموال واسرافهم فی استلابها وبیّنا ما فی کل قول من التحریف

والتدلیس وتغییر المعنی والخیانة فی النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال

الکلام واحتجنا الی عمل کتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلک اقتصرنا علی کشف

بعض دسایسه مع انه قُلّ من کلٍّ وغیضٌ من فیض، [له]

له ومما یناسب ذکره فی هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من کتابه ارسله الیَّ فکتبت الیه بعد الاعجاب به انه لابد من ذکر مصادر الروایات فی کل موضع وذلک لاجل انی کنت اخاف علیه التدلیس، فاظهر المولف فی مقدمة الجزء الثانی انه عمل بذلک، ویذکر الکتاب والجزء والصفحة ولکن من الاسف ان کل هذا ما اجدی نفعاً فانه ما یذکر الطبعة ولاجل هذا کابدتُ فی تطبیق مصادر کتابه محنة عظیمة فان النسخ مختلفة ولا یدری ای نسخة ارادها وبسبب ذلک ما اهتدنا الی اکثر خیاناتها ومن المحقق المستیقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فیها شیئاً من التحریف والتغییر ومن کان فی ریب من ذلک فلیراجع الاصول ویکابد محنة التطبیق لیؤمن بما قلته عن خبرة والله ما شیٔ-١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانما هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلة تعم الناس، نعم ان بنى امية لايوزنون بالخلفاء الراشدين ليس هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لايخلو من عثرات لاتقال وهنات لاتذكر. فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان دولتهم دولة عجمية وقد مر نصه فى ذلك سابقا،

وحان لنا ان نذكر طرفا من ماثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ×××

فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول اَعِزُّوه ويقول عُدِى اليّ فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا لم يبق احدٌ دخل فجلس على السرير ثم يقول يدنوا الناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سُميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس اِرفعوا الينا حوائج من لا يصلُ الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلانٌ فيقول افرضوا له ويقول

اخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهد وهم وا قضوا حوائجهم، ثم
يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيا مر فيه، حتى ياتى على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم
على قدر الغداء،

واطال **المسعودى** فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة "فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر و محمد
بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءةٌ فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج واكن الدولة تحتاج فى ابّانها واوّل نشاءتها

الی مثال ذلک وھذہ ابو مسلم الخراسانی مؤسس الدولۃ العباسیۃ قتل ستمایۃ الف رجل صبرًا وھذا ابو جعفر المنصور فعل بالھاشمیین مالم یسبق لہ نظیر فی الاسلام ومع ذلک فانی اعوذ باللہ ان اقوم ذابًّا عن الحجاج ومدافعا عنہ"

اما الولید فکان اھل الشام یفتخرون بہ وحق لھم ذلک قال صاحب العقد الفرید

"کان الولید عند اھل الشام افضل خلفائھم واکثرھم فتوحا، واعظمھم نفقۃ فی سبیل اللہ بنی مسجد دمشق ومسجد المدینۃ ووضع المنابر واعطی المجذومین حتی اغناھم عن سوال الناس واعطی کل مُقعد خادما وکل ضریر قایدًا وکان یمر بالبقال فیتناول قبضۃ فیقول بکم ھذہ فیقول بفلس فیقول زد فیھا فانک تربح" وھو الذی وسّع مسجد النبیؐ وذھّب البیت قال الیعقوبی ان الولید بعث الی ملک الروم یعلمہ انہ قد ھدم مسجد رسول اللہ فلیعنہ فیہ فبعث الیہ بمایۃ الف مثقال ذھبا ومایۃ فاعل واربعین حملا فسیفساء " " وبعث الولید الی خالد بن عبداللہ القسری وھو علی مکۃ بثلثین الف دینار فضربت صفایح وجعلت علی باب الکعبۃ " " فکان اول من ذھّب البیت فی الاسلام وحج الولید سنۃ ۹۱ لینظر الی البیت والی المسجد وما اصلح منہ والی البیت وتذھیبہ"

وقال الیعقوبی کان اوّل من عمل البیما رستان للمرضی ودار الضیافۃ واول من اجری علی العمیان والمساکین والمجذومین الارزاق،

وقال السیوطی فی تاریخہ للخلفاء "وکان مع ذلک (ای کونہ جبارًا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المودبين،

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رُتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم،

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطّلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنّمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا اطرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزائر البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغّلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احدُ ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وَملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والنوبة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وماوراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك و من يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذ الم يكن هنا تانق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلةً واعلى مكانةً من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذمين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل ما المصانع فانه حصن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفرله خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة و حصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدامه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح وامر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ۸۳ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتبه ابن الاثير فى حوادث سنة ۸۸ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ما هنالك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على افواه السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى[١]

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها بالبصرة فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

---

[١] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فی کثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار علی علم

وبنو اُمَیَّة هم اول من اتخذ دار الضرب فی الاسلام فکسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجوه عما اوعده الروم بنقش شتم النبی صلی الله علیه وسلم علیها وهم الذین نقلوا الدفاتر والدواوین عن الفارسیة والرومیة والقبطیة الی العربیة فزادت العربیة انتشارا ونفوذا ولم یمض برهة من الدهر حتی اصبحت هذه البلاد عربیة النزعة واللسان وهم اوّل من بنی مستشفًی فی الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانین جعلوا فیه الاطباء وامروا بحبس المجذومین واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار العمیان وهم اول من عمل دار الضیافة بعد عمر بن الخطاب[٢] وهم اول من رثی للایتام وتحنن الیهم ورتب لهم المودبین لیعلموهم،[٣]

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد نحن بهم عزه وزهر بدره فالقرآن الذی هو عمود الاسلام وراس العلوم وینبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافهم فیه عثمان بن عفان وهو اُموی ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتکت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فکثر التصحیف فی القرآن

[١] راجع لکل ذلك فتوح البلدان للبلاذری،

[٢] الیعقوبی ذکر الولید،

[٣] السیوطی ذکر الولید،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتّابه فوضعوا النقط والاعجام[1] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرّة برّ بها الاسلام لابنا ویها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[2] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبدالملک[3] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یُدرّون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائح من بنی مروان فی موسم الحج الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالا لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[4] وکان عبدالملک امر الحجاج وهو امیره

---

[1] ابن خلکان ذکر الحجاج، ومیزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار

[2] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

[3] ابن خلکان ذکر عطاء، [4] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر في الحج ويقبض اثره في المناسك وكان سالم ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبي وميمون بن مهران والزهري و ايوب بن ابي تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجأ بن الحيوة اعزة عند بني امية وكان اكثرهم عمالاً لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها في الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي فجاء في الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق "انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابي بكر بن حزم راس المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لي فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا في الحديث فتوفي عمر ثم وضع الكتب فيه ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]

اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بني امية ذكر ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ٢٤٠) ان ابا الاسود الدؤلي استاذن زياد ابن ابيه وهو والي العراقين يومئذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له صواب رايه فدعا الدؤلي وقال له ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم

[1] مقدمة الزرقاني على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه میمون وعنه عبد الله الحضری وعنه عیسی بن عمر وعنه الخلیل[1] وهؤلاء کلهم کانوا فی عصر بنی امیّة وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما **الشعر** فقد ففی عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذکرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القریض هم الفرزدق الدارمی وجریر الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربیعة القرشی وکثیر عزّة وجمیل بثینة ومجنون لیلی وذو الرمة غیلان ونصیب هولاء کلهم کانوا یقصدون بجیاد قصائدهم فکانوا یغمرونهم بالجوایز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزینة للّغة،

وکانوا یحثون الناس علی اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وکانوا یستوفدون الشعراء ویستزیرونهم ویجیزونهم بالاموال الجزیلة وکانوا یرسلون ابناءهم الی البادیة لیتسلقنوا الادب ویتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادیة وقد جمع الولید بن یزید عبد الملك دیوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[2]،

اما علم **التاریخ والسیر والمغازی** فبعصرهم افتتح عصره وبایامهم ارتفع امره ففحول اصحاب السیر والمغازی هو وهب بن منبه عالم الیمن المتوفی سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبد الملك المتوفی سنة ۱۲۴

---

[1] ابن خلکان المجلد ۲ صفحة ۳۰۰، [2] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسٰی بن عقبہ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر المغازی[1]
ووضع فی ایامھم **عوانۃ** المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ مافی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شربہ من
صنعاء الیمن وسالہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدوّن ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضیین[2]
واخذ عنہ اناسٌ سماھم ابن الندیم وکان من رُواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارفٌ بایام العرب واحادیثھا (الفھرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ **جبلۃ** بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ[3] وامر ھشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصوراً ثمّ نقل سنۃ ۱۱۳

---

[1] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[2] کتاب الفھرست صفحۃ ۲۴۴،

راه المسعودی سنة ۳۰۲ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلهما الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم[۱] وخالد بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعةً من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر منهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا و الطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل رسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هُم اول من استقدم الفلاسفة

[۱] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فى الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الى العربية فى الاسلام هم اول من انشأ خزاين للكتب فى الاسلام وقد اضربنا صفحا عما كان لال امية بالاندلس فى السياسة والعلم من الماثر الحسنة والاعمال الجليله والسير العادلة فهل لك ايها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل؟ الى الرجوع من ضلال الراى من طريق،

صنيع المولف بالعباسية عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والتروى بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عايلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبينما هو عبوس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة وكذلك شان قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى احدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ونار تلتهب وسعير تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الينهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وجمعنا عوده فى معاملته مع اعدايه (بنى امية) فلننظر كيف حاله فى معاشرته مع اصدقايه (العباسية)

قال المولف.

"غضب بعضهم الى منصوران يستبدل الكعبة بما يقوم مقامهما فى العراق

تكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيرا للكعبة وقطع الميرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحة ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحة ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون، فاخذ اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)

غیر خاف علی احد ان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فمعظم فخرهم وابین حججهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبة فی سامرا وجعل لها طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقائم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بني امية فهو يُوَفِّي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظرٍ الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغضّ من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر انّ من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الّا بالتظاهر بالدين والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدنّي الى خاصّة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامّة والتحبّب الى الناس ولذلك كان الخلفاء بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم او يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتد عن هذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضي بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلا ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها او هل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القران والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُّلٍ ولولا اني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مِصرَ فاُصبِحَ لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبیٌّ ینصره الله به (الجزء الثانی صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراک وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامرُ والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلک فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحًا الیه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونیلًا لاربه ومع ان الواقعة مکذوبة او محرّفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلک ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولون ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحًا ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبة یستنکف عنها وشناعة تشمأزّ عنها القلوب وانصف من نفسک ما کان حظّ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمک فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلک استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته فدبر لذلك حيلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية و تارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كررت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبددٌ ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم اباذوا الكتب والخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

”كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربيّةً والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس فى اجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غیر المسلمین من جزیرة العرب وتمکن هذا الاعتقاد فی الصحابة لما فازوا فی فتوحہم وتغلبوا علی دولتی الروم والفرس فنشأ فی اعتقادهم انه لا ینبغی ان یسود غیر العرب ولا یتلی غیر القرآن"

"اما فی الصدر الاول فقد کان الاعتقاد العام ان الاسلام یهدم ما کان قبله فرسخ فی الاذهان انه لا ینبغی ان ینظر فی کتاب غیر القرآن"

"فتوطدت العزائم علی الاکتفاء به عن کل کتاب سواه ومحو ما کان قبله من کتب العلم فی دولتی الروم والفرس کما حاولوا بعد ئذ بهدم ایوان کسری واهرام مصر وغیرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً علی ذلک هان علیهم احراق ما عثروا علیه من کتب الیونان والفرس فی الاسکندریة وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حریق الخزانة الاسکندریة

لم یقتنع المؤلف بذلک فعقد باباً لاثبات ان حریق الخزانة الاسکندریة کان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فی ذلک واستدل علیه بستة دلائل نحن نذکرها مع الرد علیها اجمالاً،

قال اولاً،

ـــــــــــــــ

لـه الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله او لعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ" واىّ متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلاجل كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال الم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال الم آتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنی اشارة الی محوهما والحاق الضرر بهما ونزيدك ايضاحاً للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القران وعليه المعوّل وهو المستمسك فی كل باب وكان هو العروة الوثقی فی هذا العصر للصحابة واهل القرن الاوّل والقران له عناية كبری بالتوراة والانجيل وهو الذی نوّه بذكرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدی،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقاً لما بين يدی من التوراة،

مصدقاً لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثاً يفتری ولكن تصديق الذی بين يديه (ای التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الی قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل خذوا ايرودن ويتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومرویاتهم وقد اعترف بذلك المؤلف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة فی التفسير علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابۃ فالتابعین والعرب یومئذ امیون لاکتابۃ عندهم فکانوا اذا اتشوقوا الی معرفۃ شئ مما تتوق الیه نفوسهم البشریۃ من اسباب الوجود وبدء الخلقۃ واسرارها سالوا عنه اهل الکتاب قبلهم من الیهود والنصاری فکانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من اقاصیص التلمود والتوراۃ بغیر تحقیق فامتلات کتب التفسیر من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحہ ٦٤)

وذکر المؤلف عقیب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من کتب الله ٧٢ کتابا ثم قال،

"فکان للعرب ثقۃ کبری فیه"، وقال بعد ذلك فکانت کتب التفسیر فی القرون الاولی محشوۃ بالاخبار وفیها الغث والسمین مما نقل الیها من الادیان الاخری"،

فانظر کیف یناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء فی اعتقادهم انه لا ینبغی ان یسود غیر العرب ولا یتلی غیر القرآن

"فرسخ فی الاذهان انه لا ینبغی ان ینظر فی کتاب غیر القرآن"

"فتوطدت العزایم علی الاکتفاء به (ای القرآن) عن کل کتاب سواه ومحوا ما کان قبله من کتب العلم"،

ویقول الآن ان کتب التفسیر فی القرون الاولی محشوۃ بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد لك توضيحا وتفصيلا ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابوهريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدانه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صوّاما قوّاما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرًا + + وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم عبدالله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وکونه عالما اهل الکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبدالله بن سلام انه جاء الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا لیلةً وهذا لیلةً»، فهذا ان صح ففی لرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها،

ومنهم **کعب الاحبار** کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن الصحابه»، فهذا کانه تصریح فی ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبی فی ترجمته" وعنده من اهل الکتاب شئ کثیر فانه صرف عنایته الی ذلک، وکان ثقة واسع العلم ینظر بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبدالله بن اسلام اعلم اهل زمانه و**کعب** اعلم اهل زمانه،

فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتابٌ غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من العلم عیاذاً بالله،

قال المولف

ثانیا جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق برمتها واطال فی اثبات ان ابا الفرج لیس باوّل من روی هذه الروایة

بل ذکرها عبداللطیف البغدادی عرضاً فی ذکره عمرو الواری و ذکرها القفطی فی تاریخ الحکماء"

لا ننازع المولف فان اباالفرج مسبوق فی ذکرهذه الروایة بالقفطی والبغدادی ولکن ماذا ینفعه ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذکرالروایة من غیر اسناد ومن غیر احالة علی کتاب

نعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الکتاب واوهامهم فسبّب ذلك انّه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیرمیزاننا ولذلك یصغی الی کل صوتٍ ویستمع لکل قائل لایعرف ان هذا الفن له اصول ومبادو قواعد ومالم یکن الروایة مطابقة لهذه الاصول الیقینیة لایلتفت الیها اصلا منها ان الناقل للروایة لابدان یکون شهدا لواقعته فان لم یشهد فلیبیّن سند الروایة ومصدرها حتی یتصل الروایة الی من شهدها بنفسه

ومنها ان یکون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لایکون الروایة تخالف الدرایة ومجاری الاحوال،

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل کُلّ شیٔ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصّدق فدوّنوا کتب اسماء الرجال وکابدوا فی ذلك محنة یضیق عنها النطاق البشری فعملوا کتبا غیرمحصورة منها الکامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذیب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلها او اکثرها کتاریخ البخاری وسیرة بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبینة الاسماء لیمکن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاول شیئ یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذکر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذکرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فای عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذکرانها من غیر سند ولا روایة ولا احالة علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدینوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وکررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسکندریة مذکور فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذکر،

وعلاوة علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصة بذلک مثل خطط مصر

للكندى وكشف الممالك لابن شاهين، وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفى و تاريخ مصر لابن بركات النحوى وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها صاحب كشف الظنون، **والمقريزي** جمع واوعى كل ذلك ولم يترك رواية ولا خبرا يتعلق بمصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند ذكر فتح الاسكندرية،

قال المولف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامى واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه ولعل لذلك سببا أخر،، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخى الاسلام وشدتهم فى تحرى الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمد الكذب فى التحريف والخيانة والمحو والاثبات .

قال المولف،

ثالثا وردت ماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد فى اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص

اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهما من اين اخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الكتب كان شائعًا فى تلك العصور كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

يا للعجب، **عبد الله بن طاهر** من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر ممتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت الدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يجلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك فى فهرست ابن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحکماء وغیرها فکیف یعوّل علی هذه الروایة التی ما ذکرها احدٌ من ثقات المورخین وانما استند المولف ببراون المعلم الانکلیزی وهو نقلها من تذکرة دولت شاه وهو کتابٌ جامعٌ لکل غثٍ وسمین، ولو صحّ نقلها لکانت علی سبیل الندرة والشذوذ فهل یصح قول المولف ان احراق الکتب کان شایعاً فی تلک العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الادیان فی تلک العصور کانوا یعدّون هدم المعابد القدیمة واحراق کتب اصحابها من قبیل السعی فی تائید الادیان الجدیدة،

(ثم ذکر فی تائید ذلک عمل امپراطوراة الروم واحراق کتب المعتزلة،

نعم ولکن الراشدین لا یقاسون بغیرهم، ثم ان المسئلة لیست قیاسیة فما لم یثبت بالروایة لا ینفع مجرد القیاس،

قال المولف، سادسا،

فی تاریخ الاسلام جماعة من ایمة المسلمین احرقوا کتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذکر بعض الحوادث فی تائید ذلک،)

عجباً لمثل هذا الاستدلال، فان المرء یجوز له ان یفعل بملکه ما یشاء وایّ حجةٍ فی ذلک لاحراق کتب اقوام اخر،

انّ هذه القیاسات الواهیة لا تغنی شیئاً ولکن لو اردنا ان نشفی

فی ذلك البحث بالقياس والامارات فعلينا ان ننظر ما كان صنيع الخلفاء الراشدين باثار اهل الذمة ومعابدهم وكنائسهم وامتعتهم وخزائنهم، ان الاصل فی ذلك عهد النبی صلی الله عليه وسلم الذی كتبه لاهل نجران وقد ذكره القاضی ابو يوسف فی كتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله علی اموالهم انفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فكان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا عليه بالنواجذ وتجد فی كل عهود الخلفاء الراشدين كعهد نجران ومصر وشام والجزيرة ان هذا الاصل ای ذمة الله ورسوله علی ارضهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير محفوظ باقٍ علی حيالتها الاصلية وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامانِ علی انفسهم و دمهم واموالهم وصاعهم ومدهم وعدهم"

وذكر فی معجم البلدان رواية بزيادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا يتعرضون فی شیٔ منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العناية والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغيرهم ومع عهده بانهم لا يتعرضون فی شیٔ من اموالهم وكل ما تحت ايديهم كيف كان يتعرض لخزانة كنائسهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم ان مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتاً ونفياً وممن الّف بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم وايت والمعلم دساسی الفرنساوی فی ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركانی صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچتن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوی فی تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوی فی خطبته الاسلام والعلم، وارثر گلبين، وللمعلم كريل الالمانی رسالةٌ مستقلةٌ فی هذا البحث قدّمها الی المؤتمر الشرقی الذی انعقد سنة ۱۸۷۰ء، اَورَدَ فيها كل ما كتب الباحثون فی هذا البحث نفياً او اثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة فی لسان الاردو وترجمت الی الانكليزية ثم الی العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها فی جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققی اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جيبن المورخ الشهير الانكليزی ودريپر الاميركانی وسيديو الفرنساوی وكريل الالمانی والمعلم رينان الفرنساوی عمدتهم فی انكار ذلك امران الاول ان الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثر فی كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبری و ابن الاثير والبلاذری و غيرها ممّن ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف و القفطی وهما من رجال القرن السادس و السابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولاسند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلک بدلائل لا یمکن انکارھا۔

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب" ولذلک منعوھم من تدوین الکتب،، وکان ھذا الاعتقاد ناشئاً فی الصحابۃ والتابعین و تمسک بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا سئلوا التدوین علیھم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لا ننکر ان ھذا کان مذھبا لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عدداً وارجحھم میزاناً واوسعھم نفوذاً وقد عقد المحدث المشہور القاضی ابن عبد البر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۳۶ طبع المصر) باباً فی اثبات ذلک ونحن ننقل شطراً منہا، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبد الملک بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد اللہ بن مسعود کتاباً وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاک یقول اذا سمعت شیئاً فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن ابى قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابى مليح قال يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربى فى كتاب، وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيّد العلم قال قيد العلم قال عطاء قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الداروردى قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابى الزناد عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علىّ قال سمعت خالد بن خداش البغدادى، قال ودّعت مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله اوصنى قال عليك بتقوى الله فى السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما فى صدرك للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرّة وكان يقول وددت لو ان عندى كتبى باهلى ومالى وعن سليمان بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجلٌ لايكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحٰق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه اخرون قلت له
لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئ كنّا نحن قال اسحٰق و
سالتُ اسحٰق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول انى احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لااطرحه ولاادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولااعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم مالايوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن
فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن
ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من
لايكتب العلم لايومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرائنا ان لانمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئا الاكتبته ولاكتبته الاحفظته ولاحفظته الانفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان **عمر بن الخطاب** كتب
عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضيق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لاكتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ماكان يخفى على المولف لكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارفٌ بالمغازى والسير بعد مانقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وکتب الیھم ان یقولوا لھم انما رددنا علیکم اموالکم لانہ قد بلغنا انہ جمع لنا من الجموع وانکم قد اشترطتم علینا ان نمنعکم وانا لانقدر علی ذلک وقد رددنا علیکم ما اخذنا عنکم۔ فلما قالوا ذلک لھم وردوا علیھم الاموال التی جبوھا منہم قالوا ردکم اللہ علینا ونصرکم علیھم فلو کانوا ھم لم یردوا علینا شیئًا واخذوا کل شئ بقی لنا حتی لایدعوا شیئا (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۸۱)

فانظر الی ھذا العدل الذی عجز البشر عن ایتان مثلہ واعتراف اھل الذمۃ بذلک والی قول المؤلف ان عمر ضغط علیھم وانما ضغط لانھم کانوا من جواسیس الروم،

تاریخ العلوم الاسلامیۃ | اما تاریخ العلوم الاسلامیۃ والتقریظ علیھا فقد فقدنا الیوم فی ملتنا من یقوم بھذا العبأ فکیف برجل دخیل فینا مزجاۃ البضاعۃ قلیل المعرفۃ لایعرف من علومنا الا اسماءً اتلقاھا من ظواھر الکتب وافواہ العامۃ فاذا تکلم عن شئ منھا خبط وخلط وھاک امثلۃ من ذلک قال "وکان المسلمون غیر العرب ھنالک اکثرھم الفرس وھم اھل تمدن علم فعمدوا الی استخدام القیاس العقلی فی استخراج احکام الفقہ من القرآن والحدیث فخالفوا بذلک اھل المدینۃ لانھم کانوا اشد یدی التمسک بالتقلید" (الجزء الثالث ص ۱۷) ظن الرجل ان استخدام القیاس والرای من مبتدعات الفرس مع ان اول من سمی بھذا الاسم ھو ربیعۃ الرای صرح بذلک السمعانی فی الانساب وھو من اھل المدینۃ وممن اخذ عنہ الامام مالک، وان المالکؒ والشافعیؓ وابا یوسفؒ والامام محمدؓ کلھم یستعملون القیاس مع کونھم

من العرب اُرومةً وموطنًا واداءً وانّ الفارق بين اصحاب الرای و الحديث ليس استعمال القياس و فصل القضية فی ذلك تجده فی كتاب حجة الله البالغة لشاہ ولی الله الدهلوی من متاخری حكماء الاسلام ۔ ثم قال المولف "فكان من جملة مساعی المنصور فی تصغیر امر المدینة و فقهائها وخصوصا مالك بعد ان افتی بخلع بیعته انه نصر فقهاء العراق القائلین بالقیاس وكان كبیرهم یومئذ ابا حنیفة النعمان فی الكوفة فاستقدمه المنصور الی بغداد واكرمه وعزز مذهبه،،

ظلمات بعضها فوق بعض ما كان ابو حنیفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنیفة كان هواه مع ابراهیم الخارج علی المنصور وكان افتی بنصرة ابراهیم ولذلك اراد المنصور المكیدة به فاستدعاه وعرض علیه القضاء ولما لم یرض به سجنه وامر بضربه حتی مات فی السجن ، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالك فیخالف الروایات الصحیحة الثابتة قال القاضی بن عبد البر فی كتاب جامع العلم (صفحہ ۶۷) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت علیه فحدثته وسالنی فاجبته فقال انی عزمت ان امر بكتبك هذه التی وضعتها یعنی الموطاء فینسخ نسخا ثم ابعث الی كل مصر من امصار المسلمین منها نسخة و امرهم ان یعملوا بما فیها لا یتعدوها الی غیرها ویدعوا ما سوی ذلك من هذا العلم المحدث فانی رایت اصل هذا العلم روایة اهل المدینة وعلمهم الخ۔

قال "وكان ابو حنیفة لا یحب العرب ولا العربیة حتی انه لم یكن یحسن الاعراب ولا یبالی به

(الجزء الثالث صفحة ۱۰ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش استشهد المؤلف فى هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فى تاريخه فى ترجمة ابى حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادی اطال فى مثالب ابى حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومی الى ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما على العباسية الحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ الابراهيم النخعیّ وكلهم عرب۔ ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا يوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابى حنيفة فمعلوم انه عجمی وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فى غمار هذا البحث الدقيق الذی يحتاج الى التضلع فى العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عهدناه قبل ذلك فى سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بني العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجا للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها في امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذب واختلاق والمنصور ابعد محلا وابرء ساحة من ان يبنى بناء ارغاما للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرح بذلك المقريزي (الجزء الثاني صفحة ١٤٣) فقال "وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب في قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغاما للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته-

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بني امية في الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في الادب وتنشيطا لاهله لان الشعر سجية في العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ

(الجزء الثالث صفحه ۱۰۲) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميل الى القياس متواصلا فى بنى العباس **والاعتزال** اقرب المذاهب الى اصحاب الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ۱۴۰) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراى** ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم (الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على **الاعتزال** كانوا يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا یقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لا یختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجدتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلك فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلك سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من تقرب ولا یمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیك یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتكم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصا فى اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لراى الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها فى القراءة والتفسير والفقه وفى كل شئ حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القران لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القران وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القران كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستانى وغيرهما،